مجلة علمية محكمة

دراسات

DIRASAT

AN INTERNATIONAL REFEREED RESEARCH JOURNAL

مفهوم (الشعب والأمة والجنسية) وأبعاده الحضارية في الإسلام عبد الله ابراهيم زيد الكيلاني	١٤٧
نظرات حول مشروعية التعليمات الإدارية في الأردن علي خطار شطناوي	١٦٤
الالتزام المهني في تفسير ابن عباس أحمد فريد أبو هزيم	١٧٩
نطاق تطبيق القاعدة الفقهية (لا ينسب إلى ساكت قول) في القانون المدني الأردني محمد جبر الألفي	١٩٢
سد ذرائع الربا للمحافظة على المال محمود صالح جابر	٢٠٨
سماع الميت في ضوء الكتاب والسنة ياسر أحمد الشمالي	٢٢٦
علاقة الظواهر الكونية بولادة الأنبياء وموتهم محمد محمود أبو رحيّم	٢٣٦
الموطن الدولي في التشريع الأردني والمقارن عدنان السرحان، وغالب الداودي	٢٥٣
الأساس الفطري في التربية الإسلامية فاروق السامرائي، والسيد أحمد الدغشي	٢٧٦
سلطة ولي الأمر في منح حق الحضانة للمتزوجة من أجنبي عبد الله ابراهيم زيد الكيلاني	٢٨٦
رهن الدين في التشريع الأردني غازي ابو عرابي	٢٩٤
حق الترشيح في التشريع الأردني علي خطار شطناوي	٣١٣
موازنة بين كتاب (بدائع الفوائد) لابن القيّم وكتاب (نتائج الفكر في النحو) للسهيلي جمال أبو حسان	٣٣٩

علوم الشريعة والقانون

Shar'ia and Law Sciences

ISSN 1026-3748

تصدر عن
عمادة البحث العلمي
الجامعة الأردنية

Published by
The Deanship of
Academic Research,
University of Jordan

المجلد ٢٤، علوم الشريعة والقانون، العدد ٢، كانون الأول ١٩٩٧، شعبان ١٤١٨.

Volume 24, Shar'ia and Law Sciences, No. 2, December 1997, Sha'aban1418.

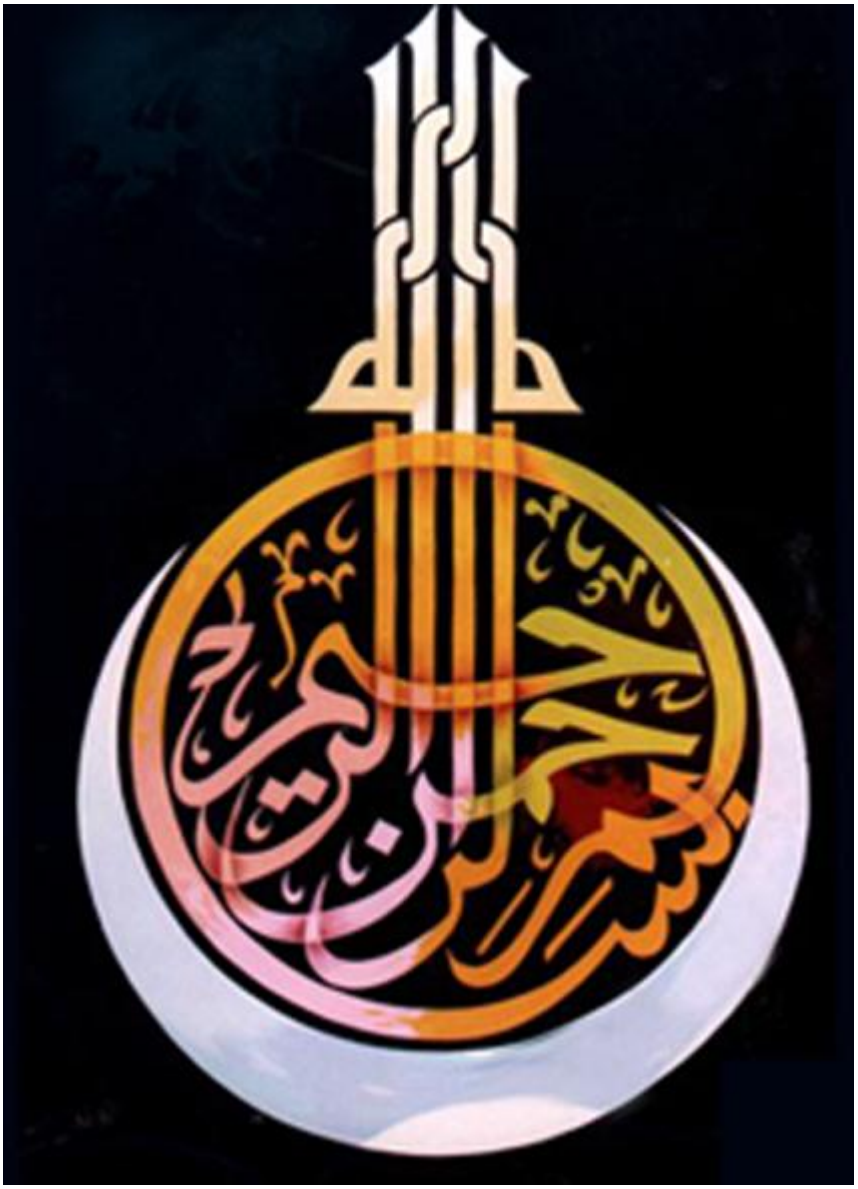
بسم الله الرحمن الرحيم

الأساس الفطري في التربية الإسلامية

فاروق السامرائي، والسيد أحمد الدغشي*

ملخص

يُعد موضوع الدراسة من القضايا الهامة في مجال التربية الإسلامية، حيث يركز على جانب مهم في الإنسان، وهي الفطرة البشرية، وارتباطها بالإيمان بالله، ومن ثم اعتبارها أساساً متميزاً في التربية الإسلامية.

لقد كثر الحديث عن مفهوم الفطرة البشرية، وتنوعت آراء العلماء في تحديدها، وتباينت أقوال المفسرين في بيان ماهيتها عند تفسيرهم لآيات الفطرة في القرآن الكريم، وكذا أقوال شرّاح أحاديث النبي – صلى الله عليه وسلم – في بيان مدلولات الأحاديث التي تناولت موضوع الفطرة. ومن هنا حاول الباحثان اختيار المعنى الذي يحقق الهدف المقصود من الدراسة.

استهدفت هذه الدراسة بيان مفهوم الأساس الفطري في التربية الإسلامية من خلال الدلالة القرآنية والنبوية، وكذا جانب الخير أو الحياد، مع أبرز التطبيقات التربوية للأساس الفطري في واقع الفكر التربوي الإسلامي.

وتوصلت نتائج الدراسة الى ان القرآن الكريم تناول موضوع الأساس الفطري بصورة مباشرة في آيتين فقط، وكذا السنة لم تزد عن حديثين اثنين، وما عدا تلك الآيتين، والحديثين، فإنما هو تفصيل في بعض مظاهر الإنسان وصفاته. وقد ذكرنا في منهج البحث أسلوب التوثّق من ذلك. والآيتان والحديثان هما:

قال تعالى: «فأقم وجهك للدين حنيفاً، فطرة الله التي فطر الناس عليها، لا تبديل لخلق الله، ذلك الدين القيم، ولكن أكثر الناس لا يعلمون» (الروم، ٣٠).

وقال تعالى: «وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين» (الأعراف، ١٧٢).

وقال النبي – صلى الله عليه وسلم –: «ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه...» (سيأتي تخريجه).

وقال – صلى الله عليه وسلم –: «قال الله تعالى في الحديث: «وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرّمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً» (سيأتي تخريجه).

كما توصلت الدراسة الى أن الفطرة في مدلولها القرآني والنبوي لم تخرج عن نطاق مفهوم التوحيد الكلي لله تعالى، وان الاتجاه القائل بخيرية الإنسان ابتداءً، أقوى حجة من اتجاه الحياد.

وفي ضوء الأساس النظري للدراسة أمكن التوصل الى ميدانين تربويين رئيسين، مع إمكانية تطبيق الأساس الفطري في التربية الإسلامية في مجالي الأهداف العامة والمحتوى الدراسي من المنهج.

المقدمة

تتميز المعرفة التربوية – بوجه عام – باهتمامها بالإنسان في جميع جوانبه، ومراحل حياته، وفي ذلك تكريم وتفضيل من الباري عز وجل لهذا المخلوق (ولقد كرّمنا بني آدم وحملناهم في البرّ والبحر ورزقناهم من الطيّبات وفضّلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا)[1] فكان من أهم المحاور الرئيسة في دراسة شخصيته، ما يتعلق بفطرته، أو طبيعته الإنسانية، وارتباط ذلك بحركته الفاعلة في الحياة، ومدى التغيير المرغوب احداثه في شخصيته، بغية تجاوز معوقات نشاطه التربوي، ليقوم بدوره الحضاري، مهما كان حجم الاختلاف حول طبيعة هذا الدور، وماهية تلك الحضارة ونوعها.

هدف الدراسة وأسئلتها

تهدف هذه الدراسة الى الاجابة عن السؤال الرئيس التالي:

– ما الأساس الفطري في التربية الإسلامية؟

وقد تفرع عنه أسئلة ثلاثة على النحو التالي:

– ما الأساس الفطري للتربية ضمن مفهوم دلالة القرآن الكريم، والسنة النبوية؟

– ما أهم جوانب الأساس الفطري للتربية الإسلامية؟

– ما أبرز التطبيقات التربوية للأساس الفطري في التربية الإسلامية؟

---

* كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة اليرموك، اربد، الأردن، ومدرس في قسم الدراسات الإسلامية، كلية التربية، جامعة صنعاء، اليمن. تاريخ استلام البحث ١٩٩٦/١٠/٣٠ وتاريخ قبوله ١٩٩٧/٧/٨.

(١) الإسراء، الآية ٧٠.

محـــددات الدراســـة

تقتصر هذه الدراسة على بيان الأساس الفطري في التربية الإسلامية في منظوره التربوي الإسلامي، ضمن إطار جانبي الخير والحياء، دون الجوانب الأخرى، مثل: الإرادة، والانفعالات، والنواحي الروحية والعقلية والجسمية.

ويقتصر تطبيق الأساس الفطري على عنصري الأهداف في صـورتها العـامة، والمحـتـوى من المنهـاج دون بقـية العناصر، مثل: الأنشطة والقياس والتقويم.

التعريف الإجرائي للأساس الفطري

ورد في معـاجم اللغة العربية أن معنى (الفطرة) الخِلقة التي يكون عليها كل موجود أول خلقه والطبيعة السليمة التي لم تُشَب بعيب[٢].

والفطرة السليمة في اصطلاح الفلاسفة: استعداد أمثل لاصابة الحكم والتمييز بين الحق والباطل[٣].

وهناك معانٍ كثيرة عند علماء التفسير، من أظهرها وأرجحها أن الفطرة تعني «الخلقة والهيئة التي في نفس الطفل التي هي معدة ومهيأة لأن يميز بها مصنوعات الله تعالى، ويستدل بها على ربه ويعرف شرائعه ويؤمن به»[٤].

ونعني في هـذه الدراسـة بالأسـاس الفطري للتـربيـة الإسلامية: أنها قاعدة التربية الإسلامية وأصلها الفطري الذي تشيد عليه الجوانب المتعددة للشخصية الإسلامية، حيث ان الفطرة بحد ذاتها تمثل بصيرة طبيعية ثابتة في جوهرها: اذ يولد المرء مزوداً بها، لتنزع به نحوالخير في صورته الكلية المجملة (توحيد الله عز وجل).

منهـج الدراسـة

تتبع هـذه الدراسة المنهج التأصيلي التحليلي الاستنباطي، الذي يعتمد على المصادر الأصلية (القرآن الكريم والسنة المطهرة) لتأصيل مفاهيم التربية وجوانبها المختلفة.

وفيما يتعلّق بحصر موضوع الدراسة في آيتين وحديثين في بيان مفهوم الفطرة، فإن الباحثين لم يقفا على أكثر من ذلك مما يرتبط بشكل مباشر بموضوع الدراسة، وذلك بعد التتبع والتدقيق من خلال سؤال أهل التخصص، والاستعانة بالمعاجم المفهرسة للقرآن الكريم والحديث الشريف، وبرامج الكتاب والسنّة المعدة لأجهزة الكمبيوتر، ومن أهمها (برنامج صخر – القرآن الكريم)، وكذلك برنامج صخر (موسوعة الحديث الشريف) الذي شمل الكتب التسعة (البخاري/ مسلم/ الترمذي/ النسائي/ أبو داود/ ابن ماجه/ أحمد/ مالك/ الدارمي).

الدراسات السابقة

أجريت بعض الدراسات تحت مسمى الطبيعة الإنسانية (الذي يقابل الفطرة في كثير من جوانبه)، مثل:

١ – الدراسة التي قام بها محروس سيد مرسي عام ١٩٨٨م، وعنوانها: «التربية والطبيعة الإنسانية في الفكر الإسلامي وبعض الفلسفات الغربية». وهدفت هذه الدراسة الى الكشف عن أصالة الفكر الإسلامي، فقد عمد الباحث فيها الى انتقاء بعض النماذج من الفلسفات الغربية ممثلة في: المثالية، الطبيعية، الماركسية، الوجودية، البراجماتية، إلى جانب الفكر الإسلامي.

وتوصل من خلال دراسته الى أن هناك اختلافاً كبيراً بين نظرة الفلسفات الغربية الى الطبيعة الإنسانية، وبين نظرة الاسلام اليها. وعزا ذلك الى اختلاف الظروف التي صاحبت نشأة كل فلسفة من تلك الفلسفات، بعكس الفكر الإسلامي الذي نادى بالتكامل وفق حتمية تصورية أساسها العقيدة الإسلامية.

٢ – دراسة قدمها موسى علي الشرقاوي عام ١٩٨٨م عنوانها: «نظريات تفسير الطبيعة الإنسانية: دراسة تحليله نقدية في ضوء مفهوم هذه الطبيعة في القرآن الكريم». هدف الباحث في دراسته هذه الى مناقشة أهم مكونات الطبيعة الإنسانية التي يمكن للعملية التربوية أن تعتمد عليها في تشكيلها لجوانب الشخصية الإنسانية، من خلال آيات القرآن الكريم، ومن توجهات المدارس الفلسفية المختلفة.

وتوصل الباحث في نتائج الدراسة الى أن مفهوم الطبيعة الإنسانية في القرآن الكريم أشمل وأعم من تلك المكونات الجزئية التي قدمها الفلاسفة.

اجـراءات الدراسـة

للإجابة عن أسئلة الدراسة الثلاثة – آنفة الذكر –، قام الباحثان بالإجابة المستقلة عن كل سؤال منها على النحو التالي:

السؤال الأول: ما الأساس الفطري للتربية ضمن مفهوم

(٢) مجموعة مؤلفين، المعجم الوسيط، جـ ٢، ص ٧٠١ (مجمع اللغة العربية).

(٣) المرجع السابق.

(٤) هذاالتعريف اعتمده بعض الفقهاء في تفسيرهم لآية الفطرة، انظر، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مج ٧، ج ١٤، ص ٢٩.

دلالة القرآن الكريم، والسنة النبوية؟

– قام الباحثان باستقراء وتتبع شامل للنصوص القرآنية والنبوية ذات العلاقة بالموضوع وفق الأسلوب المشار إليه في (منهج البحث)، وتوصلا الى ورود آيتين فقط في سياق واضح ذي ارتباط مباشر بالأساس الفطري للتربية الإسلامية:

(١) قال تعالى: «فأقم وجهك للدين حنيفاً، فطرة الله التي فطر الناس عليها، لا تبديل لخلق الله، ذلك الدين القيم، ولكن أكثر الناس لا يعلمون»[٥].

(٢) وقال: «وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم، وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى، أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين»[٦].

أما فيما يتصل بالسنة فهناك حديثان صحيحان أوردهما (البخاري ومسلم) في صحيحيهما، وهما:

(أ) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه، أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء؟»، ثم يقول أبو هريرة: «فطرة الله التي فطر الناس عليها»[٧].

(ب) عن عياض بن حمار المجاشعي رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: قال الله تعالى في الحديث: «وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرّمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً»[٨].

وما عدا الآيتين والحديثين، تأتي الآيات والأحاديث الأخرى لتفصّل في بيان بعض صفات الإنسان، وحركات نفسه. وذهب بعض المفسرين الى أن الفطرة تأتي بمعنى الدين[٩]. كما درج على نفس المعنى بعض المحدثين[١٠].

وثمة معان أخرى استخلصها القرطبي، كالبداءة التي ابتدأ الله الخلق عليها حياة أو موتاً، سعادة أو شقاوة، أو ان معناها الخلقة التي خلق المولود في المعرفة بربه، ويلاحظ أن هذا الأخير يعني أن المولود لا يوصف بالكفر أو الايمان، حتى يبلغ مبلغ المعرفة[١١].

وحول تفسير الآية الواردة في سورة الأعراف سابقة الذكر، أشار الطبري الى وجود جملة آراء بخصوصها[١٢]. ومما يلفت النظر أن محور تلك الآراء قائم على أساس من الجدل حول الحقيقة والمجاز في صفة «الاخراج» الذي دلّت عليه الآية (وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم...).

وذهب ابن كثير، الى أن الأحاديث الواردة بشأن صفة ذلك الإخراج أن كونها على الحقيقة لا تسلم من النقد والجرح، وأن الانفطار إنما هو على التوحيد[١٣]. ويشايع هذا الرأي أيضاً ابن قيم الجوزية[١٤]. ويرى السبكي أن الإسلام هو الميثاق الذي أخذه الله تعالى على ذرية آدم، وذلك يعني أن الميثاق هو ميثاق الفطرة[١٥].

ويورد ابن عبد البر رأي من يرى أن المعنى منصرف الى أن الإنسان مفطور على الإنكار والمعرفة، أو الكفر والايمان[١٦]، استناداً الى حديث النبي صلى الله عليه وسلم الذي قال فيه: «... إن بني آدم خلقوا طبقات، فمنهم من يولد مؤمناً، ويحيا مؤمناً، ويموت مؤمناً، ومنهم من يولد كافراً، ويحيا كافراً ويموت كافراً، ومنهم من يولد مؤمناً، ويحيا مؤمناً، ويموت كافراً، ومنهم من يولد كافراً، ويحيا كافراً، ويموت مؤمناً...»[١٧].

ولا يرى بعض العلماء أن مدلول لفظ «كل» يفيد الحصر والإطلاق في حديث النبي صلى الله عليه وسلم: «كل مولود يولد على الفطرة...»، وإنما يُحمل على التغليب، استناداً الى حديث غلام الخضر، في قوله صلى الله عليه وسلم: «الغلام الذي قتله الخضر، طبعه الله يوم طبعه كافراً، ولو عاش لأرهق أبويه طغياناً وكفراً»[١٨].

والذي يترجح أن فهم آيتي الفطرة، والحديثين الواردين بخصوصها، يكون على النحو التالي:

(٥) الروم، الآية ٣٠.

(٦) الأعراف، الآية ١٧٢.

(٧) البخاري، كتاب الجنائز، رقم الحديث ١٢٩٣؛ مسلم، كتاب القدر، رقم الحديث ٢٦٥٨.

(٨) مسلم، كتاب الجنّة، رقم ٢٨٦٥، واللفظ له؛ وأحمد، مسند الشاميين، رقم الحديث ١٧٠٣٠.

(٩) ابن عطية، جـ ٤، ص ٣٣٦؛ القرطبي، جـ ٧، ص ١٤، ص ٢٥؛ ابن كثير، جـ ٦، ص ٣٢٠–٣٢٢.

(١٠) انظر، القاسمي، جـ ١٣، ص ٤٧٧٨؛ سيّد قطب، جـ ٥، ص ٢٧٦٧.

(١١) انظر، القرطبي، جـ ٧، ص ١٤، ٢٤ – ٢٧.

(١٢) الطبري، جـ ١٣، ص ٢٢٢–٢٤٩.

(١٣) انظر، ابن كثير، جـ ٣، ص ٥٠٦.

(١٤) انظر، بدائع التفسير، جـ ٢، ص ٣٠٠.

(١٥) السبكي، كلّ مولود يولد على الفطرة، ص ١٩.

(١٦) ابن عبد البر، التمهيد، جـ ١٨، ص ٨٣–٨٤.

(١٧) الترمذي، الصحيح، كتاب الفتن، رقم الحديث ٢١٩١؛ وأحمد، المسند، باقي مسند المكثرين، رقم الحديث ١٠٧٥٩.

(١٨) مسلم، الصحيح، كتاب القدر، رقم الحديث ٢٦٦١.

أولاً: آيتا الفطرة

أ – آية سورة الروم

تفسير قوله تعالى: (فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله، ذلك الدين القيم): تدل الآية على معنى أن الدين هو الفطرة والعكس. وذهب الى ذلك غير واحد من المفسرين، وهو الذي دلت عليه الشواهد المختلفة، وعززه آراء عدد من المفسرين.

وعلى الرغم من ذلك فإن التسليم بهذا التفسير ليس على اطلاقه، فالدين في الآية الكريمة ليس مقصوداً به نزعة التدين الفطرية بوجه عام؛ لأن التدين بمفهوم التوحيد ومعرفة أسماء وصفات الله تبارك وتعالى يحمل مدلولاً ذا تمايز مع غيره من معاني الدين، على الرغم من حجم التداخل والتقارب الذي يضمها جميعاً.

وليس من الضروري أن يكون المعنى المشار اليه في الآية، هو نفس ما دل عليه حديث سؤال جبريل «الخاص بأركان الدين» الذي جاء فيه اجابة النبي صلى الله عليه وسلم لجبريل عندما سأله عن الإسلام، قال عليه الصلاة والسلام: «أن تعبد الله ولا تُشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة، وتُؤتي الزكاة المفروضة، وتصوم رمضان»[١٩]؛ إذ هناك معنى آخر للدين، يشمل إرسال الرسل، وإنزال الكتب، ونشر الدعوة، والجهاد في سبيل الله، وقد تكون جميع هذه المعاني من قبيل ما يُعرف من الدين بالضرورة، وإن لم يُشر إليها.

وقد لا يزيد معنى الدين الوارد في الآية الكريمة عن الإشارة الى الفطرة الثابتة المغروسة في أعماق جميع بني الإنسان، الهاتفة بنداء التوحيد على سبيل الإجمال، أو ما يمكن أن نطلق عليه أصل العقيدة الأول، بحيث لا يغني عن جوانب العقيدة الأُخر – الأصول منها والفروع – وما عرف معلوماً من الدين بالضرورة، ناهيك عن جوانب الشريعة وتفصيلاتها، التي كُلف بمهامها الرسل عليهم الصلاة والسلام، ومن بعدهم الدعاة والعلماء.

أما الذين ذهبوا الى أن المعنى في الآية البراءة التي ابتدأ الله الخلق عليها، حياة أو موتاً، شقاوة أو سعادة، فلا منافاة بينها وبين المعنى السابق من حيث معنى الابتداء، ففطر الله الانسان على الدين – المقصود بمعنى التوحيد – أي ابتدأ خلقه موحداً، بيد أن اضافة الحياة أو الموت، والشقاوة أو السعادة الى الفطرة، قول ليس له مستند قوي يدعمه ولا نص صريح، بل ان القول به يفقد الفطرة مضمونها الفاعل، أو يحيلها الى مسألة غيبية مبهمة، لا مجال للبحث ولا قيمة علمية للنظر فيها. هذا فضلاً عن أن القول به، فيه ملابسات عقدية، أحدثتها بعض الفرق التي زعمت أن الإنسان مادام مولوداً على الفطرة والمقصود بمعنى التوحيد، فإن الكفر والمعاصي ليست بقدر الله، بل بما فعله الناس[٢٠].

ويشبه هذا الرأي، الرأي القائل بأن المعنى المقصود في الآية منصرف الى الخِلقة التي خُلق عليها المولود في المعرفة بربه حين البلوغ، مع أن حمل الفطرة على الخلق سائغ؛ إذ الفطرة جزء متأصل في كيان المخلوق «الإنسان»، لكن إضافة المعرفة بالله حين البلوغ خروج بالبحث عن قضية الفطرة، التي يخلق المولود مزوداً بها، إلى مبحث آخر هو حرية الإرادة.

ب – آية سورة الأعراف

(وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم...)- الآية. فمدار البحث فيها حول الحقيقة والمجاز. والحق أن الاعتماد على أي من التفسيرين بطريقة القطع أمر يعوزه الدليل الصريح، أو القرينة القوية، ولكن هناك جوانب تُستوحى من منطوق الآية تلتقي مع آية سورة الروم في مجمل المدلول أيضاً، تجعل من البيّن استنتاج أن في الإنسان مقدرة فطرية على معرفة الله تعالى، على النحو المشار اليه فيما مضى. وسواء أكان الاستشهاد في الآية بلسان الحقيقة أم المجاز، فإن ذلك لا يغير من حقيقة أن في الإنسان نزعة فطرية ذاتية من داخله تتجه به نحو الخالق سبحانه وتعالى.

ثانياً: حديثا الفطرة

يتضح لمن يمعن النظر في حديثي الفطرة أنهما لا يكادان يخرجان في جوهرهما عن مدلول آيتي الفطرة، وعلى سبيل المثال فإن حديث الفطرة السابق الذكر: «كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه» يدعم الاتجاه القائل بأن الدين مراد به التوحيد الكلي، ومما يؤكد سلامة هذا الفهم أنه ثبت في بعض الروايات لفظ «ملة» و«هذه الملّة» بدل «فطرة»[٢١]. وهذا اللفظ «ملة» بمثابة قرينة كبيرة ترقى لدرجة الدليل المساند للاتجاه الذي عليه الجمهور، وهو كون الدين المقصود بمعنى التوحيد الكلي؛ إذ من المعلوم أن «ملة» مصطلح عقدي، ذو دلالة عقدية صرفة.

(١٩) البخاري، الصحيح، كتاب الإيمان، رقم الحديث ٥٠.

(٢٠) انظر، ابن قيم الجوزية، بدائع التفسير، جـ ٣، ص ٢٧٧–٢٧٨، ٢٨٦–٢٨٧.

(٢١) انظر، صحيح مسلم، كتاب القدر، حديث رقم ٢٦٥٨.

قال تعالى: (ملة أبيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل)[٢٢]. وقال صلى الله عليه وسلم: (أصبحنا على فطرة الإسلام، وكلمة الإخلاص، وعلى دين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وعلى ملة أبينا إبراهيم حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين)[٢٣]. وهذه المفردات (فطرة الإسلام، كلمة الاخلاص، دين نبينا، حنيفاً، المشركين) جميعها ألفاظ ذات صبغة عقائدية صرفة.

إن اسلام ابراهيم وغيره من أنبياء الله ورسله لا يخرج عن نطاق الاسلام الكلي في الآية والحديث السابقين. قال تعالى: (ومن يرغب عن ملة ابراهيم إلا من سفه نفسه، ولقد اصطفيناه في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين. إذ قال له ربه أسلم، قال أسلمت لرب العالمين، ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب، يا بني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون)[٢٤].

وتبقى تلك الآراء النازعة الى فهم الدين في حديثي الفطرة مثل القول بانفطار الإنسان في حديث الفطرة هذا، والقول بانفطار الإنسان على المعرفة والإنكار، والكفر والإيمان، والسعادة والشقاء، أو أن «كل» في حديث «كل مولود يولد على الفطرة» – السابق الذكر – ليس المراد بها الإطلاق والعموم وإنما التغليب.

ويدفع التدقيق في هذه الآراء الى مناقشتها على النحو التالي:

١ – استند أصحاب القول بانفطار الانسان على الانكار والمعرفة، والكفر والإيمان... إلى حديث: «إن بني آدم خلقوا طبقات...» ويذهب ابن عبد البر، والسبكي الى عدم صحة الحديث من حيث سنده[٢٥].

٢ – أما القول بأن لفظ «كل» في حديث: «كل مولود يولد على الفطرة...» مراد بها العموم احتجاجاً بحديث: «الغلام الذي قتله الخضر، طبعه الله يوم طبعه كافراً»، فإنه يفتقر الى النظرة الكلية. ذلك أن فقه الحديث في سياق مجمل الآيات والأحاديث الواردة بهذا الشأن يتجه به نحو تقرير أصالة التوحيد الكلي في ذات كل انسان. ومن هنا فلا مناص من مفهوم موضوعي يُزيل اللبس في هذا الحديث، دفعاً للإبهام الظاهر بالتعارض مع بقية النصوص الواردة بهذا الخصوص. فلعل حديث غلام الخضر حادثة خاصة لا ينبغي تعميمها، حيث دلّت على علم الله السابق الأزلي لمستقبل الغلام بعد بلوغه، فإنه إن عاش فسيؤول حاله الى الكفر والأذى.

وهذا الاتجاه أيده ابن عبد البر حينما نص على أن هناك خصوصية لحادثة غلام الخضر هذه. كما ذهب الى توكيده النووي وابن القيم[٢٦].

السؤال الثاني: ما أهم جوانب الأساس الفطري للتربية الإسلامية؟

سنقتصر في الاجابة على هذا السؤال على مناقشة جانب رئيس من جوانب الأساس الفطري، هو جانب الخير والحياد، وفق عملية استقرائية للاتجاهات الفكرية والتربوية التي عنيت بالبحث في موضوع الخير والشر، وموقع الإنسان منه عند الولادة. فهناك ثلاثة اتجاهات رئيسة تتلخص فيما يلي:

١ – ينظر الى الانسان على أنه خيّر بالفطرة، وإنما ينشأ الشر من بيئته.

٢ – يُوصف الإنسان بأنه شرير بفطرته ويحمل صفات عدوانية، ويسعى لتحقيق ذاته على حساب المجتمع والناس من حوله.

٣ – يُرى في فطرة الانسان قابلية متساوية للتأثر بأي من أفعال الخير أو الشر.

أولاً: الاتجاه القائل بأصالة الخير

ينطلق هذا الاتجاه من افتراض فحواه أن الانسان إذا خُلق موحّداً بالفطرة، فيعني ذلك سابقية عامل الخير. وحجج القائلين بذلك:

[١] يؤكد الزمخشري هذه الوجهة[٢٧]، وتابعه من المعاصرين الاستاذ الدريني[٢٨]، حينما حملا الآيات الواردة في معرفة ذم الانسان، ووصمه بالشر ومشتقاته من هلع وجزع وخور وشح... الخ، كقوله تعالى: (إن الإنسان خُلق هلوعا، إذا مسّه الشر جزوعاً، وإذا مسه الخير منوعاً، إلا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون)[٢٩]. (وإذا مس

(٢٢) الحج، الآية ٧٨.

(٢٣) أحمد، المسند، مسند المكثرين، رقم الحديث ١٤٩٣٥؛ الدارمي، السنن، الاستئذان، رقم ٢٦٨٨.

(٢٤) البقرة، الآيات ١٣٠ – ١٣٢.

(٢٥) انظر، ابن عبد البر، التمهيد، جـ ١٨، ص ٨٣؛ السبكي، كل مولود يولد على الفطرة، ص ١٨–١٩.

(٢٦) انظر، ابن عبد البر، جـ ١٨، ص ٨٩–٩٠؛ النووي، شرح صحيح مسلم، مج ٦، ج ١٦، ص ٢٠٨؛ ابن القيم، بدائع التفسير، جـ ٢، ص ٢٧٨.

(٢٧) الزمخشري، الكشاف، جـ ٤، ص ١٥٨–١٥٩.

(٢٨) دراسات وبحوث في الفكر الإسلامي المعاصر، مج ٢، ص ٤٨٤ – ٥٠٢.

(٢٩) المعارج، الآيات ١٩ – ٢٢.

الإنسان الضر دعانا لجنبه، أو قاعداً أو قائماً، فلما كشفنا عنه ضره مرّ كأن لم يدعنا الى ضر مسه، كذلك زُين للمسرفين ما كانوا يعملون)[٣٠]. (إن الإنسان لربه لكنود وإنه على ذلك لشهيد، وإنه لحب الخير لشديد)[٣١]، وغيرها من الآيات، حملاها على أنها حالات نفسية عارضة للانسان، نظراً لتاثره بعوامل خارجية، أو لسوء في استخدام قواه النفسية، فإنه ان لم يجاهد نفسه بإعادتها لأصلها الخيّر، طغت عليه هذه الخصال، حتى لكأنه شرير من أساسه، على سبيل المجاز.

[٢] استدلّ جعفر ادريس[٣٢] بمجموعة استدلالات على سلامة هذا الفهم، منها:

أ – في قوله تعالى: (ونفس وما سواها، فألهمها فجورها وتقواها، قد أفلح من زكاها، وقد خاب من دساها) على أن النفس خُلقت سليمة من أي عيب، مستقيمة على الفطرة القويمة، وإنما يأتي الانحراف من عوامل خارجية متعددة.

ب – إذا كانت رحمة الله تعالى للإنسان تعطي الخير ابتداءً، كرماً من الله وفضلاً، ثم تجازي الإحسان إحساناً، فإن فطرة الخير في الإنسان من مقتضيات هذه الرحمة.

ج – بما أن الله تبارك وتعالى قد خلق الإنسان بجسمه في أحسن تقويم، فإن خلق النفس الإنسانية على صورة خيّرة من مشمولات هذا الإحسان في الخلق.

د – بما أن الله تعالى قد خلق الإنسان لعبادته، فلا يعقل أن يخلق له نفساً شريرة، لا تتناسب وهذه العبادة، أو محايدة بين الخير والشر، لا يضيرها سلوك طريق العبادة أو سلوك غيرها.

هـ – إن حديث النبي صلى الله عليه وسلم « كل مولود يولد على الفطرة... كما تولد البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء؟» يؤكد أن الإنسان مولود على السلامة من الشرور، ولا وجود لشيء من العيوب، وأنها تأتي بعد الولادة، وأن ذكر اليهودية والنصرانية والمجوسية في الحديث، من غير ذكر الإسلام، يدل على أن الخير موجود في نفس الإنسان، وإنما الشر طارئ عليها بعد الولادة. ويؤكد هذا حديث «كل مولود يولد على الملة»، كما سبق ذكره.

(٣٠) يونس، الآية ٢٢.

(٣١) العاديات، الآية ٨.

(٣٢) ادريس، جعفر، التصور الإسلامي للإنسان، ص ٦٧–٧٢.

ثانياً: الاتجاه القائل بحيادية الفطرة الإنسانية

يعد هذا الاتجاه أحد الاتجاهات الشائعة في ميداني علم النفس والتربية على حد سواء. ومن أقوى الأدلة التي يسوقها أصحاب هذا الاتجاه ما يلي:

١ – يستنبط الشيباني[٣٣] وأبو العينين[٣٤]، ومرسي[٣٥]، من قوله تعالى: (ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها)، وقوله: (إنا هديناه السبيل، إما شاكراً وإما كفوراً)[٣٦]، ما يدل على أن الإنسان بحكم فطرته الأولى خال من الخير أو الشر، فتكون نفسه قابلة لكليهما، بحسب ما ينشأ عليه في بيئته الاجتماعية، فيما يعرف بعملية التطبيع، أو التطويع الاجتماعي.

٢ – يرى سيد قطب[٣٧] أن في قول الله تعالى: (وخلق الإنسان ضعيفاً)[٣٨]، وقوله: (لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم، ثم رددناه أسفل سافلين)، وغيرها من الآيات الوارد ذكرها بشأن ذم الإنسان، يرى أن في ذلك ما يدل على ازدواجية الإنسانية، فكما هي منفعلة بالخير، فإنها تنفعل بالشر كذلك.

٣ – ويذهب الشيباني[٣٩] والزنتاني[٤٠] والفرحان ورفاقه[٤١] وأبو العينين[٤٢] الى اعتبار حديث «كل مولود يولد على الفطرة...» دليلاً على الحيادية، حيث يفهمون منه تقرير النبي عليه الصلاة والسلام لهذا الاتجاه، في قوله صلى الله عليه وسلم: «فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه»، ذلك أنه – في نظرهم – يشهد على خلو معرفة الطفل من أية معرفة أو تمييز، مع وجود استعداد وميول لتكوين شخصية معينة.

الرأي الراجح

بعد عرض حجج كلا الاتجاهين يترجح تأييد الاتجاه

(٣٣) الشيباني، فلسفة التربية الإسلامية، ص ٨٩، ١١١.

(٣٤) أبو العينين، فلسفة التربية الإسلامية في القرآن الكريم، ص ١٠٣–١٠٥.

(٣٥) مرسي، التربية والطبيعة الإنسانية في الفكر الاسلامي و... ص٣٠١–٣٠٢.

(٣٦) البلد، الآية ١٠.

(٣٧) سيّد قطب، دراسات في النفس الإنسانية، ص ٣٣٨–٣٣٩.

(٣٨) النساء، الآية ٢٨.

(٣٩) الشيباني، فلسفة التربية الإسلامية، ص ٨٩.

(٤٠) الزنتاني، أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية، ص ٥٥.

(٤١) الفرحان، نحو صياغة إسلامية لمناهج التربية، ص ٧٠–٧١.

(٤٢) أبو العينين، الفكر التربوي الإسلامي، ص ٤٨.

الأول، باعتبار قوة الحجج والقرائن الدالة على وجهة نظر أصحابه، في حين نجد أن ما ساقه الاتجاه الثاني، اجتهاد لا يقوى على مجاجة أدلة الاتجاه الأول. فالحجج التي اعتمدها الاتجاه الثاني «الحياد» تمثل أبرز وأقوى الأدلة لديه، ومع ذلك فإنها لا تسلم من مناقشة لأسباب من أهمها:

(١) بخصوص القول بأن في مثل قوله تعالى: (ونفس وما سواها، فألهمها فجورها وتقواها)، الآية، وقوله سبحانه: (إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفورا)، الآية، وقوله عز وجل: (وهديناه النجدين)، ما يدل على الحيادية، فإن الآيات السابقة يترجح أنها ترد في باب آخر، هو حرية الإرادة والتخيير، من حيث المسؤولية والجزاء، ومناقشة هذه الحجة تنبع من عدة زوايا:

أ – من زاوية النظر في مفهوم التسوية الوارد في قوله تعالى: «ونفس وما سواها»، الآية، فإنها – عند النظر الفاحص – حجة للاتجاه الأول بقدر ما هي حجة على الاتجاه الثاني. ذلك أن مفهوم التسوية عند ابن كثير[١٣] على سبيل المثال هو الاستقامة على الفطرة القويمة، وذلك كأحد وجوه تفسير قوله تعالى: (فأقم وجهك للدين حنيفاً، فطرة الله...) الآية.

فالتسوية لا تعني الشر، كما تشير الى الحياد، بل ان تناغمها مع الخير الصق، وتساوقها مع التوحيد الكلي أشد انطباقاً. وحيث ان التسوية لفظ شامل يندرج تحته كل ما له صلة بالسوية في الشخصية، أكان ذلك سلوكاً، أم اعتدالاً في الخلق، كما في قوله تعالى: (الذي خلقك فسواك فعدلك)[١٤]، وقوله سبحانه: (الذي خلق فسوى)[١٥].

ومن المعلوم لدى دارسي علم النفس أن الشخصية المستقيمة – بصرف النظر عن معيار الاستقامة – يطلق عليها صفة «السوية»، وعلى عكسها «المنحرفة» – بصرف النظر أيضاً عن معيار الانحراف – فتنعت بالمرضية.

ب – من زاوية النظر الدقيق في مفهوم الإلهام في قوله تعالى: (فألهمها فجورها وتقواها)، حيث يفسره القرطبي[١٦] بأنه يعني التعريف بالطاعة والمعصية، تماماً كما هو في قوله تعالى: «وهديناه النجدين».

والقرطبي في ذلك تبع لمجاهد وابن عباس. وعلى الرغم من ذلك فإن ابن الجوزي[١٧]، والشنقيطي[١٨] يذهبان الى أن الإلهام يعني الالتزام، ولكن إعمال الفهم في هذين التفسيرين يدفع باتجاه قبول الأول، الذي يستنبط منه أيضاً ان هذا التعريف بالطاعة والمعصية لا يتحقق الا في مرحلة يكون المكلف فيها كامل الأهلية لهذه المعرفة، ولن تتأتى هذه الأهلية الا بعد الوصول الى مستوى النضج أي في بلوغه سن التمييز. أما ما ذهب اليه ابن الجوزي والشنقيطي «التفسير الثاني»، فقد يُفهم منه القول بجبر الإنسان على الأفعال، وهذا مما يُعارض جوهر الاعتقاد السليم.

ج – من زاوية مفهوم الهداية في قوله تعالى: «إنا هديناه السبيل»، الآية، وقوله سبحانه: «وهديناه النجدين»، الآية، فإن الهداية هنا تتسق مع مفهوم الإلهام في قوله تعالى: «... فألهمها فجورها وتقواها»، الآية؛ إذ الجميع آت في ضوء تقرير حرية الإنسان، ومن ثم مسؤوليته وجزائه بجامع أن الإلهام والهداية كليهما مفهومان مدلولهما يتطلب مرحلة نضج ومقدرة على الاستيعاب، وإصدار الأحكام على نحو موضوعي، وذلك ما لا سبيل الى معرفته في مرحلة الولادة، حيث لا تمييز، ولا مقدرة على أي من ذلك.

والحاصل إذن أن الآيات الثلاث «آية سورة الشمس، وآية سورة الإنسان، وآية سورة البلد»، تصب جميعها في اتجاه حرية الإرادة، إلا إذا استنتجنا مفهوم التسوية الذي يدل على خيرية الانسان بالابتداء.

(٢) إن أخذ ظواهر بعض الآيات المتصلة بالإنسان وغيره، قد يوقع في لبس اذا لم تجمع آيات الموضوع الواحد، ثم تدرس موضوعياً بصورة متأنية، وغير مسبقة بأحكام أولية محددة.

وتطبيق مبدأ النظر الكلي على الآيات الواردة في معرض ذم الإنسان – وقد سبقت جملة منها – لن يخرج بما فحواه أن مدح الإنسان أو ذمه لا يعني قابليته للخير والشر، أو ازدواجية فطرته على هذا النحو أيضاً، لكنها تفيد أن حالات عارضة تعتريه، فتخرجه عن طوره الأصلي – وهو الخير – فتصيره منحرفاً شريراً، حتى لكأنه لشدة إغراقه في الانحراف شرير بفطرته الأولى، وذلك باعتبار الحالة التي آل اليها سلوك الفرد، لا بحالته الأصلية الخيّرة.

(٣) استخلاص حيادية الفطرة من حديث الفطرة «كل مولود يولد على الفطرة»، الحديث، فذلك ما لاحظ قوياً لمن سداد الحجة، حيث أن الفطرة هي الولادة على السلامة التي

(٤٣) ابن كثير، تفسير القرآن، جـ ٨، ص ٤٣٤.

(٤٤) الانفطار، الآية ٧.

(٤٥) الأعلى، الآية ٢.

(٤٦) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مج ١٠، جـ ٢٠، ص ٧٥.

(٤٧) ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، جـ ٨، ص ٢٥٨.

(٤٨) الشنقيطي، أضواء البيان، جـ ٩، ص ٢٤٦.

تعني الإسلام بمعناه اللغوي العام «التوحيد الكلي». فالحديث لم يذكر أو «يسلمانه» رغم ذكر قرائنه من التهويد، والتنصير، والتمجيس، مما يدل على أن الإسلام متأصل في فطرة الإنسان، بحيث لا يستلزم ذكراً، علاوة على أن قوله عليه الصلاة والسلام في نهاية الحديث «... كالبهيمة الجمعاء، هل ترون فيهامن جدعاء؟» يحمل إشارة قوية الى أن الأصل هو السلامة من أي انحراف عقدي، أو فساد معنوي، فالإسلام هو أساس الخير وجذره الأول وخاصة عندما تحدد الإسلام بالتوحيد الكلي. وبذلك فالحديث حجة للاتجاه القائل بخيرية الفطرة بقدر ما هو حجة على الاتجاه القائل بحياديتها.

(٤) أما بشأن الرأي الذي يحتج بأن الخير لو كان أصيلاً في الإنسان، ما كان هناك ضرورة لقيام نظام مجتمعي متكامل، إذ الناس خلقوا أخياراً، ومعنى ذلك أن الخير المفطور عليه الإنسان أساساً يقتضي بقاءه مفطوراً على ذلك حتى وفاته، كما لو لم يكن للبيئة بمختلف أنواعها أي أثر عليه. وربما يقال في ذات السياق، أيضاً أن الخير والشر صفتان يحكم بهما على الفرد من خلال سلوكه، وإذ لا سلوك عنده حين الولادة، فأنى لنا وصفه بالخير ابتداءً؟ فالحق أنه الى جانب الاعتقاد بتلك الفرضية الخاطئة المشار اليها آنفاً، فإن غاية ما يمكن التذكير به هنا الإشارة الى أساس ذلك الخير المتمثل في التوحيد الكلي، من غير أن يعني ذلك الانفطار على معرفة متكاملة لتفاصيل هذا الخير، في مقابل عدم الوقوع في الشر أو أي من مفرداته كذلك. وعليه فتبقى الأنظمة المجتمعية ضرورة حتمية كي تنضبط حياة المجتمع أفراداً وجماعات بما يدعم وينمي اتجاه الخير الأصيل، الذي لا غنى له عن تلك الأنظمة والتي هي بمثابة عامل ضبط رئيس أيضاً.

تطبيقات الأساس الفطري في التربية الإسلامية

للإجابة عن السؤال الثالث من أسئلة الدراسة يمكن استخلاص مبدأين رئيسين للأساس الفطري في التربية الإسلامية، هما:

المبدأ الأول: الإنسان مخلوق موحِّد بالفطرة على نحو إجمالي كلي، ومن ثم فهو خيّر بالفطرة.

المبدأ الثاني: إن المعرفة الفطرية عامة، لا تستلزم تفصيلاً، ولا تتطلب بياناً.

التطبيقات التربوية في مجال الأهداف العامة للمنهج

يتصور الباحث أن تطبيق الأساس الفطري لا يتأتى تشخيصه في هذه الدراسة إلا وفق جملة من الأهداف العامة للمنهج، يمكن أن تصاغ خطوطها العريضة على النحو التالي:

١ – إن استعراض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ذات العلاقة المباشرة بالأساس الفطري يفرض على المنهج – ممثلاً بأهدافه العامة – العمل على إعداد المتعلم ضمن النظرة الكلية التكاملية، لأن اجتزاء أي نص قرآني أو نبوي من سياقه العام، أو قراءته على نحو منفصل كوحدة قائمة بذاتها، سيفضي الى تصور مشوش للفطرة الإنسانية، وذلك على غرار الاضطراب الحاصل في المصادر التراثية، من تفاسير وشروح وقراءات ذات منازع مختلفة يستند جلها الى الآيات والأحاديث ذاتها، بيد أن النتائج تأتي متباينة من مصدر لآخر.

إن التشديد على ضرورة أن تسعى مناهج التربية الإسلامية للعمل على اخراج المتعلم ذي النظرة الكلية، سيحقق نجاحاً كبيراً على المدى البعيد في بلورة الشخصية المسلمة، القادرة على العطاء والإبداع، ويحول دون أن يظل الفرد المسلم حبيساً للأحادية المعرفية، وضيقاً في منهج تفكيره.

٢ – حينما يكون مقرراً في فلسفة الأساس الفطري في التربية الاسلامية أن المعرفة الفطرية عامة وكلية، فإن هدف التربية الاسلامية يصبح منصباً في الكشف عن طبيعة هذه المعرفة، وإمكان تنميتها بالمعرفة المنسجمة مع أساسها الكلي.

٣ – إن أسبقيّة الخير في الإنسان بحكم طبيعة أساسه الفطري الخير، تعزز من تحقيق الهدف التربوي نحو الارتقاء بالشخصية المسلمة عن طريق تنمية إشباع جانب الخير فيها، الذي يتساوى ومنطق التوحيد الإلهي.

التطبيقات التربوية للأساس الفطري في مجال المحتوى الدراسي

لتحقيق الأهداف العامة للتربية الإسلامية – في موضوع الأساس الفطري – يرى الباحثان أنه لا مفر من أن تقوم المقررات الدراسية ببلورة الموضوعات المجسدة لتلك الأهداف في ضوء المبادئ العامة، وذلك على النحو التالي:

١ – تقديم الموضوعات التي تعزز صدق التعامل مع الظواهر الإنسانية، فتغرس في الناشئة قيمة البحث، والتأني في إصدار الأحكام، عن طريق العمل على إنشاء دراسات

موضوعية في مادتي التفسير والحديث، بضم الآيات والأحاديث الموزعة في كتب التفاسير، وشروح الأحاديث، في موضوع الأساس الفطري، في صورة متكاملة، ليتجنب المتعلم الوقوع في شرك النظرة الجزئية، ومن ثم إصدار الحكم الجزئي.

٢ – من واقع المعرفة الاجمالية بالله تعالى في الأساس الفطري يتم تقديم موضوع المعرفة من حيث طبيعتها بشكل عام، ونظرة الإسلام إليها، والفرق بين أطوار الإنسان في حصوله على المعرفة، حيث يولد مزوداً بأساسها الأول، وكيف يمكن البناء عليه في سلسلة المعارف الدينية والعلمية والإنسانية بعامة، عبر مراحل النمو.

٣ – لتحقيق هدف الارتقاء بخيرية الانسان، لا بد كذلك من التركيز على صفاته الخيّرة والشريرة الواردة جميعها في القرآن الكريم، والسنة المطهرة – في إطار المنهج الموضوعي المقترح. وبالنظر المتمعن في كل تلك النصوص يمكن التوصل الى النتيجة التي حاصلها خيرية الإنسان بالفطرة. أما كونه وصف بالسوء فلأنه انحرف عن تلك الفطرة بمؤثرات خارجية، ولشدة اغراقه فيها بدا كما لو أنه شرير من أساسه، مع أن ذلك ليس صواباً.

٤ – إن وصف الإنسان بالذم الوارد في بعض المواضع من القرآن الكريم، أو السنة الصحيحة، إنما يعني النتيجة التي انقلب اليها الإنسان، بعد أن خُلق على السوية، وفي هذه الحالة تقوم المقررات الدراسية بمحاولة التهذيب والتربية على الفضيلة، وتذكير الإنسان بأصله الفطري الممثل لحالة السواء للإنسان الطبيعي.

النتائج والتوصيات

النتائج

كشفت الدراسة عن النتائج التالية:

١ – بعد الاستقراء والتتبع ضمن الأسلوب الذي سبقت الإشارة اليه (في منهج البحث) وجد الباحثان أن القرآن الكريم تطرّق الى موضوع الأساس الفطري بصورة مباشرة في آيتين كريمتين هما الآية (٣٠) من سورة الروم، والآية (١٧٢) من سورة الأعراف. وما عداهما إنما هو تفصيل في بعض مظاهر وصفات الإنسان. كما تبين بالاستقراء ذاته أيضاً أن السنة النبوية المطهرة نصت على الأساس الفطري في حديثين بصورة مباشرة هما حديث أبي هريرة رضي الله عنه في تفسير آية الروم، وحديث عياض بن حمار رضي الله عنه – وهو قدسي – وما عداهما إنما هو تفصيل لذلك المعنى الجميل في الحديثين.

وفي ضوء تلك عرّف القرآن الكريم والسنة الصحيحة مصطلح الفطرة كمرادف لمعنى التوحيد الاجمالي، سواء أكان اللفظ المستخدم للدلالة على ذلك الدين أم الإسلام أم الملة أم سواها، إلا أن تدل القرينة على معنى تفصيلي لأي منها.

٢ – من خلال دراسة النصوص القرآنية النبوية الواردة بشأن موضوع الأساس الفطري في التربية الإسلامية تبين أن الاتجاه بخيرية الانسان ابتداء أقوى في دلالته، من الاتجاه القائل بحيادية الفطرة، فضلاً عن الاتجاه الذي يرى أن الشر أساس فطري.

٣ – إن المعرفة السليمة في موضوع هذه الدراسة تقتضي الفصل والتمييز بين الآيات القرآنية الكريمة الواردة بشأن نوع الأساس الفطري في التربية الإسلامية من جانب الخير والشر وبين الآيات الواردة في موطن تقرير حرية الإنسان وارادته، ومن ثم مسؤوليته وجزائه.

٤ – إن تطبيق الإطار النظري للدراسة على بعض الجوانب التربوية كشف عما يلي:

أ – التوصل الى مبدأين تربويين يشكلان أساساً في هذا الموضوع، هما: (١) ان الانسان مخلوق موحِّد بالفطرة على نحو اجمالي كلي، ومن ثم فهو خيّر بالفطرة. (٢) إن المعرفة الفطرية عامة، لا تستلزم تفصيلاً، ولا تتطلب بياناً.

ب – إمكانية تطبيق الأساس الفطري في التربية الإسلامية في مجالي الأهداف العامة والمحتوى الدراسي.

ج – استنباط جملة أهداف عامة للمنهج، ومثلها للمحتوى المنشود، يمكن الاستفادة منهما في المجال التطبيقي التربوي للمنهج والمحتوى، حيث ان استعراض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ذات العلاقة المباشرة بالأساس الفطري ودراسة الدلالات التربوية فيها، يفرض على المنهج – ممثلاً بأهدافه العامة ومحتواه – العمل على إعداد المتعلم ضمن النظرة الكلية التكاملية مما يساعد في بلورة الشخصية المسلمة، القادرة على العطاء والإبداع، ويحول دون أن يظل الفرد المسلم حبيساً للأحادية المعرفية، وضيّقاً في منهج تفكيره. وتقرير أسبقية الخير في الإنسان بحكم طبيعة أساسه الفطري الخير، يُعزز من تحقيق الهدف التربوي نحو الارتقاء بالشخصية المسلمة عن طريق تنمية إشباع جانب الخير فيها.

التوصيات

في ضوء النتائج السابقة تُوصي الجهات القائمة على تخطيط المناهج وتصميمها بما يلي:

١ – إيلاء موضوع الأساس الفطري في التربية الإسلامية، في دلالاته القرائية والنبوية عن طريق المنهج الموضوعي المعتمد على الاستقراء والتتبع للآيات والأحاديث ذات الصلة بالموضوع، إيلاؤه أهمية أكثر في ضوء الإطار النظري لهذه الدراسة.

٢ – تبني تعريف الأساس الفطري الوارد في هذه الدراسة، عند دراسة أي من مشمولات الأساس الفطري في فلسفة التربية الإسلامية.

٣ – تبني الاتجاه القائل بأصالة الخير في الإنسان ابتداء، ورفض اتجاه الشر – إن وجد له أنصار ومشايعون – وكذا الحياد السائد في الدراسات التربوية القديمة والمعاصرة.

٤ – ضرورة الأخذ والإفادة من التطبيقات العامة للأساس الفطري في التربية الإسلامية الواردة في هذه الدراسة.

Human Nature (Fitrah) in Islamic Education

F. Sumirra'i and A. Daghshi*

ABSTRACT

The theme of the study is an important issue in the field of Islamic Education, where an essential aspect in man is focused on; i.e., human nature (fitrah) and its association with faith in Allah.

Moreover, fitrah is a distinguished foundation of Islamic Education. The fitrah has been a hotly debated issue that led to diversion of scholarly opinions in defining it. Interpreters also held varied opinions upon interpreting the verses that focused on fitrah in the Holy Quran. Furthermore, narrators of the tradition (Hadith) of the Prophet (p) held similar views regarding the denotations of these traditions.

Thus the researchers attempted to choose the meaning which achieves the intended goal of the study. The present research aims at claryfying the concept of fitrah in Islamic Education through the Quran and Hadith. The research also explores the concepts of goodness and neutrality in fitrah and its application in Islamic educational thought.

The findings of the study concluded that Quran discusses the issue of fitrah properly in two verses only. The Sunnah of the Prophet (p) has singled out two Hadiths only as well. The rest of the Quranic verses and Hadiths talk about the characteristics and behaviour of man. Verification of this is discussed in the method of research. Following are the two Quranic verses and the two Hadiths, respectively:

* Allah says "so set thou thy face steadily and truly to the faith: (establish) Allah's handiwork according to the fitrah on which he has created mankind: no change (let there be) in the work (wrought) by Allah: that is the standard religion but most among mankind understand and not". The Romans: 20.

** Allah says "When thy Lord drew forth from the children of Adam from their lions, their descendants and made them testify concerning themselves, (saying): "Am I not your Lord (who cherishes and sustains you)?" They said "Yea! we do testify! (this), lest ye should say on the day of judgment; "o this we were never mindful". Al-Aa'raf: 172.

* The prophet (p) says: "All those born are intuitively Muslims and it is the parents who make them into Jewish or Christians or Mazdaisms".

** The Prophet (p) says: "Allah says in the Hadith: "And indeed I created all my worshipers on the true piety and the satins led them astray of their faith, prohibited what I made legal to them and ordered them to take partners against me of which I have sent no revelations".

The study concluded that the Quranic and Propisetic denotations of fitrah did not deviate from the overall concept of Tawhid, and that the human natural tendency towards goodness is far more convincing than that towards neutrality.

At the theoretical level the research reveals two basic educational principles, in addition to the applicability of the fitrah basis in Islamic Education' i.e., in the general educational objectives and curricula content.

* Faculty of Shari'a, Yarmouk University, and Lecturer, Faculty of Education, San'a, Yemen. Received on 30/10/1996 and Accepted for Publication on 8/7/1997.